" دور التعليم الجامعي الإسلامي في ترسيخ قيم الوسطية لدى الشباب المتعلم"

الأستاذ الدكتور/ كمال لدرع
كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

مما يلاحظ في مجتمعاتنا العربية والإسلامية انتشار ظواهر غريبة عن قيمنا الإسلامية، وتعاليم شريعتنا السمحة؛ كظواهر العنف والغلو في الدين، وهجر الناس باسم الدين، وتصنيفهم، والحكم على الآخرين بالابتداع والضلال وما إلى ذلك، وهي ظواهر لها آثارها الخطيرة على مستوى السلوك الفردي والجماعي، ولها انعكاساتها السلبية على أمن المجتمع، وزعزعة استقراره وتماسكه، والمساس بنظام الدولة ووظيفتها.

والملاحظ أن أكثر الفئات عرضة لمثل هذه الأفكار التشددية هم فئة الشباب، وهم المستهدفون من قبل مروجي أفكار العنف والغلو، وهم المستعمَلون كوسيلة لتنفيذها ونشرها بين الناس، وهم أداة طيعة وسهلة من قبل الجماعات المنحرفة.

والمعلوم أن الكثير من الشباب يتلقون التعليم في المدارس والجامعات، وخاصة مرحلة التعليم الجامعي، التي فيها ينضج الشباب، ويكون لهم حيوية ونشاط، وسهولة الاقتناع بالأفكار والتوجهات، هؤلاء الشباب بعد تخرجهم من الجامعة الكثير منهم يتولون مناصب ووظائف مختلفة في مؤسسات المجتمع المتعددة، سواء وظائف سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو إعلامية أو علمية أو اجتماعية أو دينية.

لذلك كان من الضروري أن تضطلع الجامعة الإسلامية بدورها العلمي والتربوي في غرس قيم الوسطية والاعتدال في مقرراتها وبرامجها، وعن طريق مناهجها، والمواد العلمية التي تقدم للطلبة الذين هم معظمهم من الشباب. علما أن الطلبة يقضون عدة سنوات وهم يزاولون الدراسة بالجامعة، وهي فترة كافية لتلقينهم العلم الصحيح، والأفكار السليمة، والتوجهات المستقيمة، لبناء عقولهم بناء سليمة، وتنقية أذهانهم مما علق بها من شبهات وأفكار خاطئة، والإجابة الصحيحة على الإشكالات التي تعترضهم في حياتهم.

الوسطية[1] والاعتدال[2] والسماحة[3] مقصد شرعي عظيم

إن الاعتدال والوسطية مقصد عظيم من مقاصد التشريع الإسلامي، فكل أحكام التشريع تدعو إلى السماحة والاعتدال والتخفيف وعدم التشدد والعنت، وقد قرر الإمام الشاطبي هذه القاعدة وجعلها خاتمة حديثه عن النوع الثالث من مقاصد الشارع وهو قصد وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها فقال في ختام مبحث المشقة والتيسير:(**الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه**) [4]، وقال في موضع آخر:(**الحمل على التوسط هو الموافق لقصد الشارع وهو الذي كان عليه السلف الصالح**) [5]، والإمام ابن عاشور جعل السماحة أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها، وقد بين معناها بقوله:(**سهولة المعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط.. واستقراء الشريعة دلّ على أن السماحة واليسر من مقاصد الدين**) [6]. وقد وردت عدة نصوص قرآنية ونبوية تبين سماحة الشريعة ويسرها وسهولتها وبعدها عن العنت والحرج والضيق. والإسلام من خلال تلك النصوص يدعو المسلم إلى التوسط والاعتدال في التزامه، وفكره وعمله، وهنا يبرز مبدأ الشريعة العظيم وهو الوسطية في كل شيء في الفكر والعمل، قال تعالى مبينا رسالة النبي صلى الله عليه وسلم:(**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [7].

---

[1] – الوسطية: تعني التوسط بين طرفين كوسط الدابة والمكان والمرعى، ويقاربه في المعنى اللغوي كلمة الاقتصاد، أي الوقوف في موقف الوسط والاتزان، و في الحديث النبوي: (خير الأمور أوساطها)ضعيف الجامع رقم:1252. وكما وصف الله تعالى أصناف الناس تجاه الهدي الإلهي: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)فاطر:32، والمقتصد هو المتوسط، وفي هذا المعنى قوله تعالى:(وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاما)الفرقان:67، وقوله أيضا:(وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً)الإسراء:29.

[2] – والاعتدال: معناه الاستواء والاستقامة، يقال: اعتدل من الركوع أي استقام، واعتدل المناخ: صار جوه لطيفاً.

[3] – والتسامح: صيغة مفاعلة بإظهار السماحة من الجانبين، ويقال: سماحة الإسلام، أي المتجسدة في تعاليمه وأحكامه، ولا يتوقف ذلك على سماحة خصومة من الآخرين غير المسلمين. ومعناه: الأيسر والسهولة، والابتعاد عن الشدة والقسوة، ومن خصائص الشريعة الإسلامية اليسر ورفع الحرج.

[4] – الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي(ت790هـ)، **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج:2، ص:124.

[5] – الشاطبي، **الموافقات**، ج:4، ص:191.

[6] – ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، والشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط سنة 1985م، ص:60.

[7] – الأعراف:157.

وجاءت السنة مفصلة لسماحة ما جاء به الإسلام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ)** [8]، وعن أَنَس بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ)** [9].

فالمسلم معروف باتزانه في التزامه: في عبادته، في تعامله مع الناس، في سلوكه الاجتماعي، فالذين يتشددون في التزامهم، أو في الحكم على الآخرين لم يفهموا حقيقة الإسلام، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(**أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)** [10]، وفي رواية لمسلم عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا)** [11].

حتى في مجال العبادة لابد على المسلم أن يسلك السبيل الوسط ولا يجوز له أن يبالغ أو يتشدّد، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَا أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلَانٌ فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ فَقَالَ:(**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمْ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ)** [12].

ولا شك أن القصور في فهم أحكام التشريع، وسوء الالتزام بها، يؤدي إلى مفاسد عظيمة تترتب عليها آثار سيئة على الفرد والمجتمع، منها استعمال العنف لإلزام الناس بالقناعات الخاصة، وانتشار النزاعات والخلافات، والخروج على الحكام بغير وجه حق، وغير ذلك من المفاسد التي تعكر صفو الحياة وتؤدي إلى ما لا يحمد عقباه، ومن ثم يفقد المجتمع الأمن؛ وإذا أصبح الفرد لا يأمن على نفسه من أخيه المسلم الذي تجمعه به عقيدة واحدة تعطّلت جميع المصالح الدينية والدنيوية، وأخطر من ذلك تشويه صورة الإسلام في نظر الآخرين، فيُتهم بالعنف والإرهاب والتخلف وما إلى ذلك مما تعودنا سماعه من وسائل الإعلام الغربية، وهي اتهامات لا تمت بصلة إلى هذه الشريعة السمحة، وإنما اتصف بها بعض ممن ينتسب إلى الإسلام وهو منها براء.

فالإسلام دعوة بالحكمة، ومعاملة بالحسنى، قال تعالى:(**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** [13].

فعلى المسلم أن يعي هذه المقاصد النبيلة والمعاني السليمة، والحكم الجليلة التي تضمنتها الشريعة، حتى يصبح فردا إيجابيا يؤدي دوره في النهوض بأمته وليس في تخريبها، وترقية مجتمعه وليس في تقهقره، وفي بناء وطنه وليس في هدمه، وفي ترغيب الناس في الإسلام وليس في التنفير منه، فالإسلام إنما ينتشر بسلوك المسلمين وعملهم الإيجابي، وبالدعوة

---

[8] – رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم:38.

[9] – رواه أحمد في مسنده، رقم:12579.

[10] – رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم: 3992.

[11] – رواه مسلم في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم: 4823.

[12] – رواه البخاري في كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره،، رقم:88.

[13] – النحل:125.

بالتي هي أحسن، ولا يمكن للغة التكفير أو التفجير والحكم على الناس وتوزيع التهم عليهم أن تبني دولة، أو أن تشيّد وطنا، أو أن تنشر أمنا، أو تغري الأمم الأخرى في الانضمام إلى الأمة الإسلامية، لذلك فإن ابن عاشور رحمه الله تعالى يجعل المقاصد التحسينية التي يتميز بها المجتمع الإسلامي في أخلاقه السمحة وفضائله النبيلة هي التي تجعل الأمم الكافرة تتقرب من الأمة الإسلامية، فقال رحمه الله عند تعريفه للمقاصد التحسينية:(**هي عندي . أي المقاصد التحسينية . ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوبا في الاندماج فيها أو في التقرب منها**).[14]. ويلاحظ على كلامه أنه أعطى للمصالح التحسينية بعدا دعويا، تمثل في تحسين مظهر الأمة وتقوية سلطان هيبتها ترغيبا للآخرين في الانضمام إليها والتقرب منها واعتناق الإسلام، فيشعر الناس أن الإسلام دين حياة ونظام وجمال، وليس دين دروشة وتخلف وجمود.

أهمية دور جامعة العلوم الإسلامية في ترشيد الشباب:

إن مهمة المؤسسات الجامعية مهمة نبيلة تقوم بدور تلقين العلوم النافعة التي تنضّج الفكر وتقوّم السلوك وتوجّه نحو الإبداع، ومن ثم ترجمة ما يتعلمونه إلى واقع يتجسد في الإبداعات والصناعات النافعة وخدمة المجتمع وتطويره، وبنائه وترقيته.

وتبدو أهمية الجامعة في أنها تجمع جميع فآت المجتمع المؤهلين علميا وهم في مرحلة الفتوة والقوة والاستعداد. وهذا السن يسمح بتوجيه الطالب التوجيه الصحيح، وتأهيله ليكون إطارا يفيد المجتمع في المجال الذي تخصص فيه، ومن خلال تلقينه البعد الرسالي في حياته، فالطلبة يشكلون النخبة المثقفة التي تقود المجتمع مستقبلا، فضلا على أنها فئة عريضة في المجتمع، وما لم توجه التوجيه الصحيح فإنها تصير قنابل موقوتة تنفجر في أي لحظة في شكل أعمال عنف، وسوء التزام، وسلبية في الحياة، وانحرافات وجرائم وما إلى ذلك.

و دور مؤسسة التعليم الجامعي ليس مجرد حشو ذهن الطالب بالمعلومات الشرعية دون أن يرتبط ما تعلمه بواقعه وخدمة مجتمعه وأمته، لذلك ينبغي أن يكون التعليم الجامعي موجها بالأساس لخدمة المجتمع وترقيته والنهوض به.

ومما يجعل للجامعة دورا مهما أيضا أن الذي يقوم على هذه المؤسسات هم الأساتذة وأهل العلم فيها، الذين ينبغي أن تجتمع فيهم الصفات الحميدة، وأن يشعروا بالمسؤولية العظيمة الملقاة على عواتقهم.

فالأساتذة بما أوتوا من علم وبصيرة مؤهلون أكثر من غيرهم في تعليم الشباب وتوجيههم التوجيه الصحيح، فلا يقتصر دورهم على تلقينهم مجموعة من المعارف يتحصل الطالب من خلالها على الشهادة، وإنما أيضا عن طريق دورهم التربوي والقدوة الحسنة والسلوك الفاضل المؤثر في نفسية الطالب وشخصيته.

ولعل دور الجامعات التي تعنى بتدريس العلوم الإسلامية تكون أولى من غيرها بامتثال المنهج الوسطي، لأن بتعليم الطلاب علم الشريعة الصحيح المأخوذ من الفهم السليم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هو

[14] . ابن عاشور، محمد الطاهر: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، والشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط سنة 1985م، ص:82و83.

الضمان لحفظ الأوطان من الغلو والتطرف، لأن هؤلاء قدوة لغيرهم، وهؤلاء الطلاب سوف يتبوءون مناصب مختلفة في المجتمع، كالإمامة والإفتاء والقضاء والتعليم وغير ذلك، فيسهمون في نشر الاعتدال والالتزام الصحيح بأحكام الدين، فلا تجد فيهم متطرفا ولا متشددا ولا ناقما على المجتمع، ولا منتقصاً للعلماء، ولا هاجرا للناس ولا مكفرا لهم، ولا خارجا على الحكام. ثم هؤلاء الطلبة الذين تشبعوا بالعلم الصحيح ينشئون رأيا عاما في المجتمع فلا يكون هناك تأثير للشواذ المتطرفين.

و التعليم في الجامعة يتعامل أساسا مع فئة الشباب المملوء بالعاطفة والإقبال وتلقف الأفكار الجديدة, مما يجعلنا نعي بأن إصلاح و تطوير التعليم الجامعي يجب أن يقوم أولا وقبل كل شيء على فهم الشباب فهما واضحا, والتعرف على احتياجاتهم وتلبية آمالهم وطموحاتهم, ومراعاة المرحلة التي يمرون بها، ومن ثم تحديد الإطار العام الذي ينبغي أن يتحرك فيه التعليم الجامعي, من أجل التكيف مع التغيرات التي تفرزها تطورات الحياة, ومن أجل إعداد الطلبة الشباب . الذين سيقودون المجتمع مستقبلا . لتأطير المجتمع والمحافظة على استقراره وأمنه ومصالحه العليا.

إن الجامعة لها مسؤولية نحو الفرد ومسؤولية نحو الوطن ومسؤولية نحو الأمة، نحو الفرد بحسن تنشئته وتعليمه العلم الصحيح الذي يصير به إنسانا إيجابيا يخدم مجتمعه ويدود عنه، ولها مسؤولية نحو الوطن بترسيخ الانتماء إليه، وخدمة مصالحه العليا، والإسهام في تطوره وتقدمه، ولها مسؤولية نحو الأمة بخدمة الأهداف العليا التي ترسخ وحدة الأمة وقوتها، فلا يجب على الجامعة فقط خدمة الجوانب الأكاديمية والعلمية المحضة الخاصة بالطبقة المثقفة، بل عليها أن تستهدف ببرامجها وسياستها العلمية هذه الدوائر المختلفة، والمجالات المتنوعة التي تحققها من خلال تكوين الفرد الصالح المتدين تدينا صحيحا، الذي يسهم في خدمة التنمية العامة للمجتمع، ومن خلاله تُخدم الأمة ككل، فلا سبيل لخدمة الأمة الإسلامية و وتقديم الخير للبشرية إلا بخدمة الوطن الصغير الذي ينتمي إليه كل واحد من الناس، يقول الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله:(**نعم إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد أنه لا بد أن نكون قد خدمناها، وأوصلنا إليها النفع والخير من طريق خدمتنا لوطننا. وأقرب هذه الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى والمغرب الأقصى اللذان ما هما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة وعقيدة وآداباً وأخلاقاً وتاريخا ومصلحة ثم الوطن العربي والإسلامي ثم وطن الإنسانية العام. ولن نستطيع أن نؤدي خدمة لشيء من هذه كلها إلا إذا خدمنا الجزائر. وما مثلنا في وطننا الخاص – وكل ذي وطن خاص – إلا كمثل جماعة ذوي بيوت من قرية واحدة. فبخدمة كل واحد لبيته تتكون من مجموع البيوت قرية سعيدة راقية. ومن ضيع بيته فهو لما سواها أضيع. وبقدر قيام كل واحد بأمر بيته تترقى القرية وتسعد، وبقدر إهمال كل واحد لبيته تشقى القرية وتنحط. فنحن إذا كنا نخدم الجزائر فلسنا نخدمها على حساب غيرها ولا للأضرار بسواها – معاذ الله – ولكن لنفعها وننفع ما اتصل بها من أوطان الأقرب فالأقرب)** [15].

[15] – مقال بعنوان :"**لمن أعيش**" نشره الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب، ج:10، م:12، غرة شوال 1355هـ/ جانفي 1937م. انظر آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ط 1، سنة 1406هـ/1985، ص:113.

ضرورة إصلاح منظومة التعليم الجامعي :

رغم الإصلاحات التي تمت على مستوى التعليم الجامعي إلا أنه لا يزال قاصرا عن بلوغ أهدافه في خدمة المجتمع، وترسيخ قيم الانتماء والوطنية في نفوس الشباب والمتكونين، وتلقينهم الإسلام السمح المعتدل البعيد عن كل أشكال التشويه، خاصة وأن الحياة تشهد تطورا رهيبا في المجال التعليمي وطرقه على مستوى العالم، الأمر الذي يحتم النظر في البرامج والمقررات لخدمة المراحل الراهنة ومواجهة التحديات العالمية التي تمر بها المجتمعات الإسلامية. لذلك وجب العمل على إعادة النظر في المنظومة الجامعية للكشف عن جوانبها السلبية، وتدارك أخطائها ونقائصها، لصياغة برنامج تعليمي جامعي يخرج الإطارات الكفأة التي تلتزم بالتديّن السليم، ولها انتماء لبلدها وأمتها، وتسعى لخدمتهما والنهوض بهما.

وإعادة النظر في المقررات والبرامج يجب أن يكون بعيدة عن الضغوطات والإملاءات الأجنبية، أو أن يكون خدمة لسياسة آنية، وإنما يجب أن يراعي خصوصيات المجتمع، وأحوال العصر ومعارفه وتطوراته، ومبادئ الدين وسماحته. ويتطلب هذا رؤية واضحة وبعد مستقبلي، مع مراعاة التطور المستمر والمتواصل، وهذا موكول إلى القائمين على التعليم الجامعي للارتقاء به، حتى يكون مسايرا لتطورات الحياة، وليمنع كل انحراف في مجال التكوين حتى يحقق أهدافه العلمية والتربوية والاجتماعية.

ويلاحظ أن الدول المتقدمة في العقود الأخيرة أولت اهتماما وأولوية بإصلاح التعليم الجامعي، لكن وفق أهدافها وثوابتها الدينية ومصالحها الخاصة التي كثيرا ما تكون مشبعة بالأطماع التوسعية ونزعات الهيمنة.

والمجتمعات العربية والإسلامية مطالبة بالقيام بإصلاحات داخلية في منظومتها الجامعية، لكن وفق خصوصيتها العقدية والاجتماعية مع مراعاة المرحلة التي تمر بها، ثم بالاستفادة ـ دون التقليد الأعمى ـ مما توصل إليه الغير في مجال العلوم والتقنية.

فالتعليم الجامعي يهدف إلى تكوين إنسان معتدل في تفكيره وتدينه، ينتمي إلى وطنه وأمته، ويسعى لخدمته وترقيته. فالانحرافات تأتي من التأثر بالغرب في ثقافته وأخلاقه ونمط حياته دون علمه وتطوره، مما يولد ردا فعليا متطرفا للطرف الآخر في مجال التدين الإسلامي وتنامي أفكار التطرف والعنف والتشدد في الالتزام.

و التعليم الجامعي عبارة عن استمرار للتعليم في المراحل السابقة التي كانت مهمتها الأولى تلقين الطالب جملة من المعارف والتربويات المختلفة وتلقينه أساسيات العلوم، أما مرحلة الجامعة فهي تتمة وتكملة لذلك، وتتلخص مهمتها في تنمية تكوينه العقلي والثقافي وتنمية القدرات والمهارات الذهنية، وتدريبه على البحث والإنتاج العلمي حتى يتأهل للقطاعات المختلفة التي يمكن أن يتولى فيها وظيفة أو مسؤولية بعد تخرجه من الجامعة.

لكن لا يجب أن يقتصر دور الجامعة على المجال العلمي فقط، بل لا بد من أن تتضمن مقررات التعليم الجوانب الثقافية والدينية التي تشبع الطالب بثقافة مجتمعه، وترسّخ فيه القيم الفاضلة، وتلقنه التدين السليم الصحيح.

فالجامعات التي تعنى بتدريس العلوم الإنسانية والاجتماعية والكونية والتكنولوجية ينبغي أن يكون في برامجها مقررات تربوية ودينية حتى تحصّن الطالب المتخرج منها ثقافيا ودينيا ويكون له انتماء لوطنه، كما أن الجامعات التي تعنى

بتدريس علوم الشريعة ينبغي أن يكون في مقرراتها بعض المواد التي ترتبط بفقه الواقع والحياة حتى يتخرج منها طلاب يفقهون الحياة ولا يعيشون في التاريخ، أو يتغنون فقط بمآثر السلف دون أن يسلكوا سبيلهم لتطوير الحياة كما طورها سلفُهم في زمانهم.

فهذه الأبعاد قد تغيب في كثير من الأحيان، وهذا يرجع إلى نظام الجامعة الدراسي ومقرراته التقليدية التي تجاوزها الزمن بتطوراته وتغيراته المختلفة، وأيضا إلى قدرات القائمين على التعليم الجامعي بمختلف وظائفهم واختصاصاتهم، إذ قد تغيب عن كثير منهم هذه الحقائق المختلفة، فضلا عن المؤهلات والكفاءات المطلوبة. فإنتاج الطالب المبدع المتزن المحب لبلده وأمته في أي اختصاص من الاختصاصات هو نتاج العملية التعليمة التي تقوم بها المؤسسة الجامعية.

والمشكلة أن كثيرا من المعلومات والنظريات التي تقدمها الجامعات لطلابها في مجال العلوم الإنسانية تجاوزها الزمن منذ وقت طويل، وبقيت الجامعة تدرس أفكارا ونظريات تبيّن خطأها، أو لم يعد لها وجود إلا في كتب التاريخ، أو أن الجامعة تكتفي بتدريس تاريخ العلوم؛ فهناك قصور واضح جدا في متابعة التطور الفكري والثقافي والإنساني من قبل الجامعة، وهذا أدى إلى إصابة العقل العربي أو العقل المسلم بصفة عامة في الصميم، وعطّل القدرات الهائلة التي أودعها الله فيه، وجعله بعيدا عن مناهج البحث الحديثة والمدارس الفكرية والفلسفية والأدبية والنقدية وغيرها من فروع المعرفة الضرورية.

مواجهة الجامعة للغزو الفكري والأفكار المتطرفة:

فالجامعة بما لها من برامج وسياسات بحثية علمية وكفاءات علمية متميزة قادرة على مواجهة الغزو الفكري والأفكار الوافدة التي تؤثر على الشباب، وتشوش تفكيرهم، فليس المشكلة فقط في استكشاف آليات الغزو الفكري أو الذهني التي تأتي من الغرب، كما تأتي أيضا من بلدان صديقة وشقيقة، أو من جماعات وتنظيمات متطرفة مما سيستدعي ذلك استحداث آليات مقاومة لهذه الأنواع من الغزو التي تؤثر على الشباب، كالانحلال الخلقي والميوعة والتشدد الديني؛ وهذا يتطلب مستوى من البحث والعلم والتوجيه تنهض به الجامعة عبر برامجها وسياستها التعليمية وأهدافها العلمية.

فالغرب لا يزال ينظر إلى المجتمعات العربية والإسلامية على أنها مجتمعات مستعمرة متخلفة غير راشدة، يعمل على تصدير أفكاره التحررية إلى هذه المجتمعات: حقوق المرأة، الديمقراطية، حقوق الإنسان، والتطور، والعصرنة، وما إلى ذلك من الشعارات التي يريد نشرها في هذه البلدان، لكن الذي يصدره الغرب إلينا هو قيمه وأخلاقه وميوعته وعاداته ولغته التي تختلف كلية عن قيمنا وأخلاقنا، مثل العري والاختلاط والمخدرات.

هذا التحدي المستمر على المسلمين منذ عقود من الزمن يستوجب على الجامعة بشكل خاص العمل على تحصين الشباب وحمايتهم من ذلك وفق برامج وسياسة مدروسة متواصلة طويلة النفس.

كما أن من أخطر الغزو الذي يتعرض له الشباب هو الأفكار الدينية المتطرفة عبر الوسائل الإعلامية المختلفة كأفكار الجهاد الخاطئة، والخروج على الحكام وتكفير المجتمع وهجره، وهي أفكار تشكِّل خطرا على فكر الشباب وسلوكهم

والتزامهم، وما يقع اليوم في المجتمعات العربية والإسلامية لا يخفى على أحد، والجزائر كبلد من تلك البلدان عانت كثيرا من التطرف الديني الذي كان ضحيته الشباب، ووظّف هؤلاء الشباب في تخريب المجتمع وزعزعة استقراره بدل بنائه وتشييده. والجامعة عبر برامجها التكوينية تستطيع أن تمنع ذلك كله وتحصن الشباب منه.

دور المقررات الشرعية الجامعية في غرس قيم الوسطية والاعتدال:

نشر العلم عامل مهم في القضاء على التطرف وترسيخ قيم الاعتدال وحسن الالتزام، فنقص المستوى التعليمي من أهم العوامل التي تساعد على سرعة الانتماء للجماعات الإرهابية، أو الانسياق وراء الانحرافات الخلقية، ويشير بعض الباحثين أن غالبية المتورطين في قضايا الإرهاب والتطرف من الأميين، أو ممن لهم مستوى تعليمي محدود، وهي نتيجة طبيعية ومتوقعة إذ لا يتوقع من فرد متعلم ومستمر في الدراسة أن ينساق بسرعة للجماعات المتطرفة، بل إن هؤلاء يكونون معرضين أكثر للانضمام للجماعات المتطرفة، كما يأتي التطرف ممن تلقى علما مشوشا من غير أهله، فيسيء فهم الحقائق وتنزيلها في الواقع.

ولكن بالتعليم الصحيح المنهجي الجامعي الذي يتلقاه الطالب من المختصين يمكن توظيف العلم الشرعي في القضاء على كل أشكال الضلال الفكري والشبه والأباطيل.

وفيما يلي بعض المقررات التي لها دورها في غرس قيم الوسطية والاعتدال:

1 . **مقرر العقيدة:**

وذلك من خلال محتويات مادتها المدرَّسة التي لا يُكتفى فيها فقط بتدريس أركان الإيمان، وعقيدة التوحيد، ومظاهر الشرك، والخوض في جدال فلسفي الذي كان محل صراع قديما بين الفرق الإسلامية المختلفة إلا بالقدر الذي يخدم مادتها العلمية، بل ربط العقيدة بالسلوك وبآثارها الاجتماعية، من خلال بيان أثر عقيدة التوحيد أو عقيدة اليوم الآخرة أو عقيدة الملائكة وغيرها بسلوك المسلم وفاعليته، فالعقيدة ليست أركانا تحفظ، بل هي تصديق بالقلب وتفاعل بالسلوك والعمل. كما ينبغي التطرق إلى المواضيع ذات الصلة بالعقيدة كالحرية العقدية في الإسلام، فالحرية مكفولة للمسلمين ولغير المسلمين في أن يختاروا ما يريدون، ثم يكون الحساب على ما اختاروا، فإن أساؤوا عوقبوا، وإن أحسنوا أثيبوا بالجزاء الأحسن، قال تعالى: **(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً)** [16]. فالآية تعني الإنذار والتهديد لكل من أساء الاختيار فصار من الظالمين .

وتقرير الحرية للآخرين يعني تمكينهم من ممارسة الحرية بأنواعها، وهذا لا يتحقق إلا بجو يسوده التسامح والتعايش، ثم يترك أمر الحساب على سوء الممارسة إلى الله تعالى في الدار الآخرة، ولم يكن على النبي الرسول صلى الله عليه

[16] – الكهف:29.

وسلم ولا على العلماء وأمة الإسلام من بعده إلا البيان وتبليغ الدعوة، دون إحراج ولا تضييق ولا إكراه، وقد وضح ذلك القرآن في قوله تعالى:(**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[17]. وقوله تعالى: (**لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**) [18]، ثم وضح القرآن ذلك أيضا في بيان واضح كافيا شافيا: (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**) [19].

وقد التزم المسلمون في كل عصر بهذا التوجيه الرباني، فلم تقع حادثة منهم تتنافى والتسامح الديني، وقد عاش اليهود والمسيحيون في كنف المسلمين يتمتعون بكافة حقوقهم المدنية، حتى أن بعضهم وصل إلى بعض الوظائف السامية في الخلافة الإسلامية، ويشهد على ذلك وجود المساجد بجوار الكنائس في كثير من المجتمعات العربية.

ومن ثمرات تدريس مقياس العقيدة هو الاعتراف بالتعددية الدينية والمذهبية والفلسفية في العالم، وهو ما يمكِّن عمليا وواقعيا السماحة والتقارب والتعايش السلمي والودّي الذي عامل به المسلمون غيرَهم، فالاختلاف يبقى قائما إلى قيام الساعة، وعلى الرغم من الاختلاف فلابد من التعارف والتعاون:(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[20].

كما ينبغي أن تتضمن مقررات العقيدة قيم المساواة والتعاون والأخوة الإنسانية، تتجلى ذلك في العلاقة بين الخالق والمخلوق، والخالق هو الإله الواحد المعبود، والمخلوقون هم عبيد لله الواحد الخالق، وبالتالي فهم على قدم المساواة، وليس هنالك وسطاء بين الله وعباده، والعلاقة مباشرة وسهلة مع الله بطاعته ومحبته، فلا تفاضل بين الناس إلا على أساس التقوى والعمل الصالح، قال تعالى:(**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[21].

فلابد من النظر إلى المخالف في العقيدة على أنه إنسان مكرم من حيث أصل النشأة، ومن ثم احترامه وضمان حقوقه البشرية، قال تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**) [22].

---

[17] - البقرة:256.

[18] - الغاشية:10.

[19] - يونس:99.

[20] - الحجرات:13.

[21] - الحجرات:13.

[22] - الإسراء:70.

والإسلام ينهى أتباعه عن العدوان والفساد والإفساد، والضرر والإضرار، ولا يبيح لفئة شاذة أن تعيث في الأرض فساداً دون إذن من الحاكم العادل، قال تعالى:(**وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**) [23]، ولا يحلّ قتال المخالفين في العقيدة إلا إذا بدر منهم اعتداء أو ظلم، أو من أجل حماية المستضعفين، قال تعالى:(**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**) [24]، وقال أيضا:(**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**) [25].

أما في غير ذلك فأساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم والأمان، علاقة قائمة على العدل والسماحة والتعاون الإنساني العام، قال تعالى:(**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**)، ودعوتهم إلى الإسلام تكون بالحسنى والكلمة اللينة الطيبة، قال تعالى:(**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**) [26]، وقال أيضا :(**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) [27].

2 . مقرر فقه العبادات:

لا ينبغي الاكتفاء بتدريس الأحكام الفقهية الفرعية للعبادات، بل لا بد من بيان مقاصد العبادات وحِكَمها الشرعية، وأبعادها الخلقية والاجتماعية، كالوحدة والأخوة والمساواة والمحبة، من خلال بيان حكمة الاتجاه إلى قبلة واحدة، والصلاة في المسجد جماعة، وتسوية الصفوف بين المصلين دون تمييز بين غنيهم وفقيرهم وسيدهم ومسودهم، والمساواة في التكليف بين الذكر والأنثى، وما إلى ذلك من المعاني، ومثل ذلك يقال في مناسك الحج وغيرها من العبادات.

وربط أحكام التكاليف الشرعية بحِكمها ومقاصدِها الشرعية أدعى إلى حسن الالتزام والبعد عن التشدد والمبالغة في العبادات والتنطع فيها، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى أصحابه عن التشدّد في الدين، فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ يَوْمًا أَمْشِي فَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَجِّهًا فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ حَاجَةً فَجَعَلْتُ أَحْنَسُ عَنْهُ وَأُعَارِضُهُ فَرَآنِي فَأَشَارَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا فَإِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يُصَلِّي يُكْثِرُ الرُّكُوعَ

[23] – البقرة:60.

[24] – البقرة:190.

[25] – النحل:126و127.

[26] – النحل:125.

[27] – العنكبوت:46.

وَالسُّجُودَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(**أَتُرَاهُ مُرَائِيًا**) فَقُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَأَرْسَلَ يَدِي ثُمَّ طَبَّقَ بَيْنَ كَفَّيْهِ فَجَمَعَهُمَا وَجَعَلَ يَرْفَعُهُمَا بِحِيَالِ مَنْكِبَيْهِ وَيَضَعُهُمَا وَيَقُولُ:(**عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبْهُ**) [28]، وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ:(**هَاتِ الْقُطْ لِي**)، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ:(**بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**) [29].

3. مقرر الفقه المقارن:

والتركيز في هذه المادة على أسباب اختلاف الفقهاء، وعرض الآراء الفقهية والأصولية ومناقشة الأدلة بموضوعية، حتى يترسَّخ في فكر الطالب تنوع الآراء وتعددها، واحترام الرأي المخالف، وعدم التعصب للرأي، وأن لكل فقيه دليله وحجته، وعدم الطعن في العلماء، وأن اختلافهم رحمة، وأن اختلافهم لا ينقص من قدرهم كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه رفع الملام عن الأئمة الأعلام، فكثير من الانحرافات الفكرية تأتي من التعصب وذم المخالف، واتخاذ موقف سلبي منه، مع أنه قد يصار إلى رأيه المرجوح لمصلحة أو حاجة أو ضرورة. كما ينبغي بيان أن الكثير من الاختلافات في الفروع الفقهية مما تحتمله النصوص الشرعية الظنية الدلالة.

ومن فوائد تدريس هذا المساق هو الاعتراف بالمخالف واحترامه، وبالتعددية المذهبية الفقهية، فظاهرة الاختلاف حقيقة قائمة وطبيعية، وعلى الرغم من الاختلاف، فلابد من التعاون واحترام الرأي المخالف الذي له دليله وحجته.

4. مقرر مقاصد الشريعة الإسلامية:

إن التشريع الإسلامي تشريع إلهي، أنزله الله تعالى لتحقيق عبودية الناس له سبحانه وتعالى، وتنظيم حياتهم، حتى يتمكن عباده من تعمير الأرض بالخير والصلاح، وينالون بذلك سعادة الدنيا والآخرة. لذلك جاءت أحكام التشريع الإسلامي متضمنة لحكم ومعان سامية توصل العباد إلى الغاية من وجودهم فوق هذه الأرض وهذه الحِكم والمعاني التي احتوها هذا التشريع، بمجموعها يعبر عنها بمقاصد الشريعة الإسلامية.

وتدريس مادة المقاصد الشرعية مهم جدا في فهم أحكام التشريع الإسلامي، والاستنباط والاجتهاد، واستيعاب قضايا الزمان والمكان، لذلك اشترط الإمام الشاطبي المقاصد لفهم الشريعة واستنباط الأحكام من نصوصها، فقال رحمه الله:(**المسألة الثانية إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين أحدهما فهم مقاصد الشريعة على كمالها والثاني التمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها**) [30].

---

[28] – رواه أحمد في أول مسند البصريين، رقم:18950.

[29] – رواه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحص، رقم:3007.

[30] – الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة** ، ج:4، ص:105و106.

ولعل من أسباب تخلف المسلمين وتخبطهم في اضطرابات فكرية وسلوكية كبيرة هو جهلهم بمقاصد شريعتهم وعدم وعيهم بها، جعلهم لا يحسنون مواجهة التحديات، واستيعاب قضايا زمانهم، فكان ذلك ثغرة للأعداء لاتهام الإسلام بالجمود والعجز.

إن الفهم الخاطئ للدين، والجهل بقواعد الشريعة العامة ومقاصدها وحكمها عامل مساعد على تطرف الشباب، إذ أن حفظ النصوص دون فقه وفهم، والابتعاد عن العلماء الثقاة سبب مباشر لبروز ظاهرة الغلو وانتشاره، ويؤكد الكثير من الباحثين أن الجهل بأصول الدين الصحيحة من أهم أسباب الإرهاب، و أن الغلو في الدين وتفسير النصوص الشرعية على غير حقيقتها أدى إلى ظهور الفكر المنحرف الذي يخلط بين الإرهاب والجهاد[31].

فضروري من خلال تدريس هذا المقياس أن يصير لدى الطلاب ذهن متفتح، وعقل واع، وفكر متزن ينظر في حِكم الشريعة ومصالحها العليا، حتى يصير على وعي بدينه وفقه واسع بواقع حياته، لأنه كلما زاد وعيهم بمقاصد الدين زاد تمسكهم بإسلامهم، وتمكنوا من تحقيق التناغم بين سنن الله في الكون وسننه في التشريع. فتعميق البحث في مجال مقاصد التشريع يسهم في تبصير العقل المسلم وتنويره بما يؤهله إلى حسن فهم الشريعة وسلامة تنزيلها، قال تعالى:(**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**[32] **أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)[33].

دور البحث العلمي الجامعي في ترسيخ قيم الوسطية والقضاء على أشكال الانحراف الفكري والسلوكي:

إن للجامعة دورا آخر يتجاوز دائرة التعليم، وهو البحث العلمي وإنتاج المعرفة والأفكار التي بها تعالج العديد من القضايا المطروحة في الساحة الاجتماعية والثقافية والأخلاقية والاقتصادية، فكثير من الانحرافات تتولد من الأفكار التي تأتي من غير المختصين، أو من أنصاف المتعلمين، أو من الأفكار الميتة والقاتلة التي تجاوزها الزمن، أو التي لا تراعي عمق اهتمامات الأمة، فتكون مهمة الجامعة . وهي المؤهلة أكثر من غيرها . تقديم الحلول للمشكلات المطروحة واقعيا، وأن تصحح المفاهيم، وأن تشجع التعايش والتفاهم بين الآراء المختلفة، لأن عدم التعايش يؤدي إلى النزاع والصدام والتطرف والعنف ورفض الآخر.

فنشاط الجامعة العلمي والبحثي والتعليمي يرتبط ارتباطا وثيقا بمشكلات المحيط المحلي والدولي، وبالنظام السياسي وبالشئون الاجتماعية، فالجامعة جزء من مؤسسات المجتمع المختلفة، بل هي من أهمّها ويمكن لها أن تكون قائدةً لكل خير وصلاح واعتدال.

---

[31] – محمد بن حميد الثقفي، **دور مؤسسات المجتمع في مقاومة جرائم الإرهاب**، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من 2/21 حتى 2/24 من عام 1425هـ

[32] – والبصيرة تقتضي أيضا الوعي بمقاصد التشريع وحكمه وغاياته الكبرى في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ضمن أصوله الثلاثة: الضرورية والحاجية والتحسينية.

[33] – يوسف:108.

لذلك كان من أهم ما ينبغي أن تُعنى به المؤسسات الجامعية هو البحث العلمي، وإنتاج الأفكار والمعرفة. هذا البحث العلمي الذي يجب أن يصب في اهتمامات الأمة وانشغالاتها ومشاكلها.

فعلى الباحثين في المؤسسات الجامعية من خلال أبحاثهم تقديم الحلول الشرعية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية لمشاكل مجتمعهم وأمتهم، فتستهدفُ أبحاثُهم الظواهرَ الشاذة، كظاهرة التكفير والتطرف الديني والانحراف السلوكي، فيتعقبون هذه الظواهر بالبحث والدراسة، ويبحثون عن أسبابها وعواملها الحقيقية، ثم بعد ذلك يسهل تقديم الحلول الناجعة لعلاجها.

والجامعة لها فضاء واسع في تنوع البحوث العلمية والدراسات المختلفة، وإقامة الندوات والمؤتمرات العلمية، فالانحراف قد يكون مركبا من عدة عوامل دينية ونفسية واجتماعية، وفي هذا الصدد ينبغي توجيه البحث العلمي على مستوى الأطروحات الجامعية (ماجستير ودكتوراه)، وكذا على مستوى البحوث العلمية التي تنشر في المجلات العلمية المحكمة إلى الاهتمام بمثل هذه القضايا، فأسلوب القوة أو العصا غير كاف في القضاء عليها، بل يزيدها تشددا وإصرارا، وتزيد أصحابَها قناعة بأنهم في جهاد، وتحوّلُهم إلى أبطال وزعماء.

إنّ العلم الصحيح القائم على البحث والدراسة، والحوار العلمي عبر الندوات العلمية الذي يأخذ في اعتباره البعد الديني والنفسي والاجتماعي هو الكفيل بالقضاء على كل أشكال الانحراف الفكري والسلوكي الذي هو نتاج القناعات الفكرية الخاطئة، والعلاج لا يكون إلا بأفكار سليمة تحل محل الأفكار الخاطئة.

الخاتمة:

إن فلسفة التعليم الجامعي الحالي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية سواء أكان حكوميا أو أهليا، عاما أو خاصا, لم يبلغ مداه في ترسيخ قيم الحرية والتسامح والتعاون, فبالرغم مما نملكه من إمكانات، ومما حبانا به ديننا الحنيف من قيم ومبادئ إلا أننا لم نرتق بتعليمنا الجامعي لتحقيق أهدافه على مستوى التكوين وخدمة مصالح المجتمع العليا ومواجهة التحديات.

فتزويد المؤسسات الجامعية بالحاسوب والوسائل المتطورة وتوسيع قاعات الدرس وتحسين الشكل الهندسي للبنايات . وإن كان مفيدا . فإنه لا يحقق وحده أهداف التعليم ما لم نستهدف في إصلاح التعليم الجامعي في مناهجه ومقرراته المعانيَ والأبعادَ التي أشرنا إليها سابقا.

فالجامعة تستقبل أفضل شريحة من المجتمع وهم فئة الشباب، وهي فئة مستعدة ذهنيا وعقليا لتقبل الآراء والاتجاهات ومناقشتها، والجامعة مؤهلة أكثر من غيرها على حسن تعليم هؤلاء الشباب وتأهيلهم للقيام بدورهم الريادي في الحياة، وصياغة منهم عناصر صالحة تحقق التطور للأمة وترعى مصالحها العليا.

وقد عُلم من خلال الواقع أن فئة الشباب فئة مستهدفة من قبل الغير، تسعى أطراف عديدة لتوظيفها في تحقيق أهداف غير مشروعة في المجتمع، وهي في ذاتها معرضة بسهولة إلى الانحراف والتطرف، كما أن الممارسين للتطرف

والعنف أكثرهم من الشباب، لذلك كانت مسؤولية الجامعة .كجزء من مؤسسات المجتمع . عظيمة في ترسيخ الوسطية والسماحة في فكر الشباب وعقولهم عبر سياستها التعليمية والبحثية.

فينبغي على الجامعة عبر برامجها ومقرراتها أن تنفتح على المحيط الاجتماعي بكل مكوناته الاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية، فالتعليم الجامعي ليس منعزلا عن الواقع المحيط به، وهو الكفيل . إضافة إلى المؤسسات الأخرى كالمسجد مثلا . بتكوين الشباب تكوين سليما قائما على الوسطية في التفكير، والاعتدال في الالتزام، والرفق في المعاملة.

فعلى الجامعة أن تؤدي دورها كاملا في هذا العصر الذي يتميز بالمتغيرات السريعة والاحتكاك بالغير والتأثر وسرعة انتشار الأفكار عبر الوسائط الإعلامية المختلفة، هذا الدور الذي هو أمر لازم للمجتمعات الإسلامية والعربية التي تريد الاستقرار لنفسها والمحافظة على وحدتها، والسير نحو التقدم والرقي.

ومهما تنوعت الآراء وتعددت حول الفلسفة التي يرتكز عليها التعليم الجامعي، فإن ما يطرحه كل قائم على التعليم الجامعي أنه يجب أن يُطور التعليم ويُنظر في برامجه بما يحقق طموحات المجتمع ويسهم في خدمته ونهضته، ويغرس في نفوس الشباب الأفكار الوطنية السليمة، ويعمق انتماءه لدينه ووطنه وأمته.

الهوامش